باتستا

طاغية كوبا

حرية الإنسان أثمن مالديه فى هذه الحياة وأقدس مايملكه . فإن فرط فيها أصبح لا وجود له ولا كيان لوجوده ، والتاريخ يتوقف عند الاعتداء على الحريات متمثلاً فى اعتقال شخص بدون جريمة أو حبس مواطن بدون خطيئة أو تعذيبه أو إهانة أو إذلال إنسانيته ..

والتاريخ أيضًا ينسى للحاكم كل خطاياه إلا اعتداءه على حرية مواطنيه أو ظلم شعبه ورعاياه أو التسلط عليهم من خلال حكم الإرهاب والطغيان . وسلب الإنسان حريته يقتل فى داخله روح الانتماء والكرامة ، ويزرع فى قلبه الخوف والتردد ، وقوانين التاريخ ثابتة فهى تسجل العدل وتحذف كل الأمجاد إذا اقترنت بالظلم ..

وباتستا .. من قارة تبعد عنا آلاف الأميال ولكن إحساسنا بالإنسان فى كل زمان ومكان ، يجعلنا نقترب منه كثيرًا لنتعلم من الدروس ،ولنؤكد فى كلمات تتدفق تدفق الدم من القلب كلمات هى كبد الحقيقة ، وهى أن قضية الحرية للإنسان دومًا مترابطة ودفاعه عنها شرف لا يدانيه شرف ولا يعلو فوقه هدف .

ولقد كان « باتستا » الإرهابى الملعون الذى حكم « كوبا » بالحديد والنار واستعان على حكم مواطنيه والتسلط عليهم بالقوى الأجنبية ، ووضع نفسه فى خدمة الاحتكارات نظير سمسرة وعمولات ، وكان الثمن فادحًا حيث عاش شعبه فريسة للمرض والتفكك والإذلال ، يعانى من الفقر والجهل بسبب السلطة الحاقدة المستبدة التى لا تعترف بالقواعد الإنسانية أو القانونية أو العدالة السماوية .

فى عهد باتستا قاست كوبا ما لم تقاسيه فى عصر الاستعمار الأسبانى أو فى عهد السيطرة الأمريكية ، لقد وأد حرية الصحافة ، وقيدها وكممها وسجن كل صوت حر عارض أسلوب حكمه .

والواقع أن أمريكا اللاتينية كانت ولا تزال القارة الوحيدة فى العالم التى تعانى من حكم الطغاة منذ حصول دولها على الاستقلال من الاستعمار الأسبانى ، وحتى الآن ، وإذا كانت هناك قارة تماثل ظروفها فهى القارة الأفريقية ، إلا أن هذه القارة الأخيرة بدأت تدخل مرحلة النضج السياسى ، وتعبر مرحلة المراهقة تمهيدًا للاستقرار الذى تتطلع إليه شعوبها ، وشعوب أمريكا اللاتينية لازالت تقاسى من مغامرات الانقلابات العسكرية وحكم المغامرين وتسلط الطغاة .

وحتى نبدأ القصة من بدايتها علينا أن نتكلم عن كوبا وحركة التاريخ فيها والأرض والسكان والمعاناة والأمل والثورة التى خلصتها من ذلك الحكم الدموى الإرهابى اللا أخلاقى .

اكتشاف كوبا :

كوبا إحد جزرر الهند الغربية التى يطلق عليها جزر الأنتيل وهى تقع فى نصف الكرة الغربى ، وقد اكتشفها كريستوفر كولومبوس سنة ١٤٩٢ فى أول رحلة لكشف العالم الجديد ، وكان يعمل فى خدمة أسبانيا ، لذلك فإنه منذ هذا التاريخ وكوبا تخضع للحكم الأسبانى حيث اتخذت قاعدة للتوسع الأسبانى فى أمريكا اللاتينية .

وتتكون جزيرة كوبا من جزيرة كبيرة رئيسية وعدة جزر صغيرة ، تقع فى المحيط الأطلنطى تبعد عن فلوريدا – إحدى الولايات المتحدة الأمريكية – حوالى (١٣٥ ميلاً أى ٢١٧ كم) إلى الجنوب ، ومساحة كوبا تصل إلى ١١٠,٩٢٢ كم^2 (٤٢,٨٢٧ ميل) وكوبا تشكل نصف أراضى مساحة جزر الهند الغربية وعاصمة كوبا هى « هافانا » ، وتمتد ٧٨٠م من الشرق إلى الغرب ، وتتسع فى الجنوب الشرقى إلى ١١٩ ميلاً فقط ، بينما اتساعها فى الشمال الغربى ١٩ ميلاً فقط ، ويصل عدد سكان كوبا فى سنة ١٩٨٤ حوالى ٩,٩٤٥,٠٠٠ وتصل نسبة الزيادة فى السكان ١,٣٪ سنويًا والسكان مزيج من ثلاثة عناصر هم الهنود الحمر ، وقبل الغزو الأسبانى كان عدد الهنود الحمر فيها من ٨٠ إلى ١٠٠ ألف ، ولكن الأسبان أبادوا منهم الثلث ، أما العنصر الثانى فقد كان العبيد المجلوبين من أفريقيا ، ووصل تعدادهم أكثر من ٨٠٠ ألف

عبد ، أما العنصر الثالث فهم المهاجرون من البيض وبصفة خاصة من الأسبان وقد حدث تزاوج بين العناصر الثلاثة وكان الانصهار هو شعب كوبا الحالى .

واللغة الأسبانية هى اللغة الوطنية لكوبا ، والعقيدة الكاثوليكية هى السائدة حتى سيطرة الحزب الشيوعى الذى تأسس سنة ١٩٧٦ والذى يحكم من خلال مكتب سياسى مكون من ١٦ عضوًا وجمعية وطنية من ٤٨١ مواطنًا ينتخبون لمدة خمس سنوات ، ولكن رغم ذلك فإن ٤٢٪ من السكان لازالوا يترددون على الكنيسة .

والزراعة تشكل مصدرًا هامًّا من مصادر الدخل القومى وأهم المحاصيل النقدية هى محصول السكر ، ومحصول الطباق ، وبعد التحول الشيوعى لكوبا أصبح الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية أهم الدول المستوردة للسكر لكوبا وهناك اتفاقية طويلة الأجل بين كوبا ودول مجلس التعاون الاقتصادى لدول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى المعروف باسم « الكوميكون » . ولكن انتهت بانحلال أوربا الشرقية .

كوبا والتاريخ السياسى :

كان أول استعمار لكوبا هو الاستعمار الأسبانى الذى قسم البلاد إلى ٧ مناطق محلية وبسبب محصول السكر الكوبى الذى وصل

سنة ١٨٦٠ إلى أن يكون ٣٣٪ من الإنتاج العالمى ازدادات قبضة الأسبان على كوبا ، وقد عانت كوبا نتيجة لإلغاء تجارة العبيد سنة ١٨٦٥ ، واستعاضت أسبانيا عن ذلك بأيد عاملة من الهنود والصينيين وبعض أهالى المكسيك .

وقد انتهت العبودية من كوبا فى سنة ١٨٨٦ وصدر قرار بمقتضاه تحرر كل العبيد ، ولكن نظرا لقسوة الاستعمار الأسبانى وتعنته فإن أهالى كوبا دخلوا فى صراع طويل من أجل الحصول على استقلالهم ، وخاض الكوبيون حربين متواليتين للحصول على استقلالهم : الحرب الأولى بدأت من سنة ١٨٦٨ واستمرت لمدة عشر سنوات أى حتى سنة ١٨٧٨ وحشد الأسبان فيها ما يقرب من ٢٠٠ ألف جندى لمواجهة الثورة والتمرد ، ورغم خسارة أسبانيا إلا أن سيطرتها على كوبا استمرت حتى بدأت حرب الاستقلال الثانية سنة ١٨٩٥ وبفضل تدخل الولايات المتحدة بعد ثلاث سنوات من نشوب القتال أى سنة ١٨٩٨ ، انتهى الاحتلال الأسبانى لكوبا ، ولكن حل محله النفوذ الأمريكى بداية من ١٨٩٩ التى اعتبرت سنة الاستقلال ، ولكنه كان استقلالاً واهيًا حيث أنه فى سنة ١٩٠١ حصلت الولايات المتحدة على حق الإشراف على السياسة الخارجية ، وعلى أنها – أى الولايات المتحدة – من حقها إنزال قواتها إذا ما تعرضت كوبا للخطر ، وقامت الولايات المتحدة بتأسيس قاعدة

عسكرية بحرية لها فى « جوانتانامو » فى كوبا لازالت هذه القاعدة الأمريكية حتى الآن فى داخل أراضى كوبا ، ومن الجدير بالذكر أن كوبا أصبحت منطقة استثمارية أمريكية بداية من سنة ١٨٩٦ حيث كانت روءوس الأموال التى تستغل فى الجزيرة تتراوح ما بين ٤٠ ، ٥٠ مليون دولار ثم ارتفع هذا الرقم حتى وصل فى ظل حكم باتستا إلى ما يقرب من ٨٠٠ مليون دولار أمريكى .

وفى سنة ١٩٣٤ حصلت كوبا على استقلالها التام ، وهكذا يمكن أن يقال إن التحرر من الاستعمار الأسبانى لم يجلب الحرية لكوبا لأن معاهدة « بلات » قيدت استقلال كوبا وجعلت الولايات المتحدة تحل محل أسبانيا فى توجيه مقدرات الشعب الكوبى .

باتستا والسلطة :

فى البداية أود أن أنوه أن باتستا لم يكن أول الطغاة لجزيرة كوبا ، كما أنه لن يكون آخرهم ، ولكن باتستا هو أشدهم قسوة وأكثرهم إرهابا ودموية ، كان عميل الاستعمارالأمريكى وتشبه بالنازيين ، حيث أسس ما يشبه الجستابو للتجسس على الشعب الكوبى ، وكانت أجهزة مخابراته ما بين عسكرية ومدنية تربو على العشرين جهازًا وأخطرهم المنظمة التى عرفت باسمه والتى انشأها فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٣ ووضع على رئاستها السفاح « ميجيل أوجالد كاريللو » الذى يشبه « بريا » فى تاريخ الاتحاد السوفيتى ،

ولعل أخطر الطغاة قبل « باتستا » هو « ما شادو جيراردو » الذى عاش فى الفترة من ١٨٦٢ إلى ١٩٤٠ وقد أنتخب رئيسًا لجمهورية كوبا عام ١٩٢٤ ولكى يستمر حكمه أثار فتنة طائفية بين شعب كوبا ولكنه أجبر على الهرب فى ١٢أغسطس سنة١٩٣٣بعد حكم دام ٩ أعوام (تسعة أعوام) وبعد سقوطه جاء نظام شعبى واسع الجماهير برئاسة «جراو سان مارتان رامون « الذى انتخب سنة١٩٣٣ رئيسًا مؤقتًا للجمهورية، ولكن لم تلبث الولايات المتحدة أن أطاحت بحكمه حيث قام انقلاب ضده بتأييد منها ولم يستطع رجال هذا الانقلاب السيطرة على الأمور ووصلت فى عهدهم سمعة الحكم فى كوبا إلى الحضيض، عندئذ انتهز ضباط من القوات المسلحة الكوبية- يخرج من تحت السلاح الفرصة وقام بانقلاب جديد وقبض على ناصية الحكم بيد من حديد، وذلك الضابط كان هو «باتستا» الذى نتحدث عنه فى هذا الفصل .

قفز باتستا من صفوف الجيش ليصبح قائدا للجيش الكوبى واختير عضوًا فى مجلس الشيوخ ، واستولى على زمام الأمور معتمدًا على ولاء الجيش له ، وفى عهده عرف نظام السخرة المفروض على الجنود فى الأملاك الفخمة الخاصة بكبار موظفى الحكومة المدنيين والعسكريين ، نعم لقد وجد من العسكريين فى عهد باتستا من لطخت رؤوسهم إلى أقدامهم بدماء الشباب الكوبى الذين علبوا

واغتيلوا ، ولم يكونوا أبدا مضطرين لذلك ، ولكن اشتغال الجنود كعبيد فى الاملاك الخاصة كان بلا شك نوعًا من الإجبار ، وليس من شك أن الفئة التى أيدت باتستا هم طغمة من الخونة والأشقياء الذين حنثوا بقسمهم فى أن يكونوا فى خدمة وطنهم مدافعين عن الشعب وحقوقه وليسوا أداة فى يد الحاكم يسهلون له طغيانه وجبروته .

ولقد كان انقلاب مارس الذى قاده باتستا خدعة دنيئة للاستيلاء على الحكم حيث استغل استياء الجيش من أساليب الحكم السابق ، ولم تلبث القوات المسلحة أن تبينت حقيقة « باتستا » ومن يحيطون به ، وتساءل الكثيرون من العسكريين الشرفاء عن الدافع الملح الذى جعل القوات المسلحة تتحمل هذه المسئولية التاريخية فى تدمير الدستور ، وفى إرهاب المواطنين وفى تسليم السلطة لفئة من الناس لا أخلاق لهم ولا ذمة ، أناس فاسدون مهترئون سياسيًّا حتى العظم عاجزون عن إشغال أية وظيفة عامة إلا بقوة الحراب والأسوأ من ذلك حراب لا يملكون الشجاعة على هزها بأنفسهم ..

وتأكد لجنود الجيش وضباطه الشرفاء أن ما وعد به « باتستا » من إصلاح الأحوال لم يكن إلا تخدير للأعصاب ، ونوعًا من الوهم وسطوًا على المستقبل عامًا بأن ما أنفقه باتستا على شراء الدبابات والمدافع والأسلحة كان يمكن أن يحل مشكلة كوبا الاقتصادية ويرفع

مستويات المعيشة فيها ، ولكن ككل الطغاة كان باتستا يظن أن قدرة الجيش على البطش ، هى السبيل الوحيد لبقائه فى السلطة وكان لسان باتستا من حوله يقول :

« مت أيها الجندى فى سبيل الحكومة ، أعطها دمك وعرقك وسوف نقدم لك خطابا وترقية بعد وفاتك (فى وقت لن تكون بحاجة إليها) فى حين نظل نحن نزداد ثراء وفى عيش رغده أقتل أيها الجندى ، عامل الشعب بالسوء واضطهده وحينما يضيق الناس ذرعًا بهذا كله فسوف تدفع أنت ثمن جرائمنا » .

لقد حكم باتستا كوبا عقب الانقلاب الذى قام به فى عام ١٩٣٣ ، وعين نفسه جنرالاً للجيش الكوبى بعد أن كان مجرد ضابط من تحت السلاح ، ونجح فى إجراء انتخابات كان هو الوحيد المرشح فيها ، ومن ثم أمسك مقاليد الأمور فى كوبا لمدة ست سنوات لم يعط فيها كوبا أى تطور أوتقدم ثم حكم أربعة أعوام أخرى أى أنه استمر فى فترة حكمه الأولى فى الفترة من ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤٤ ثم أجبر على التخلى عن الحكم ، ولكنه عاد مرة أخرى وقام بانقلاب دموى رهيب فى مارس سنة ١٩٥٢ أوصى به رئيس الجمهورية المنتخب « كارلوس بريوكاوس » وأعاد تنصيب نفسه بدلاً منه وقد تم ذلك بمساعدة رئيس جيش كوبا المدعو « بيريز داميرا جينو نيفد » .

هكذا يمكن أن يقال إن باستا هو الطاغية الوحيدة بين الطغاة الذى حكم بلده على فترتين منقطعتين الأولى سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤٤ ، والثانية ١٩٥٢ إلى ١٩٥٩ أى أنه حكم كوبا مدة ثمانية عشر عامًا ، واعتلى السلطة من خلال انقلابين دمويين وبمساعدة خارجية من الولايات المتحدة الأمريكية .

وخلال حكم باتستا رصف طريق الشعب بالآلام والخيانات والوعود الكاذبة .صفيت خلال هذا الحكم العناصر الوطنية تصفية جسدية ، وازدحمت السجون والمعتقلات بكل صاحب رأى ، وتمنى الكثير من الكوبين الموت هروبًا من البؤس الذى عاشوا فيه خلال حكم « باتستا » ، وكان لابد أن يضحى شباب كوبا من أجل وطنهم إنقاذًا له من الظلم والطغيان ، ورغم تعدد انتفاضاتهم لم يبخلوا بجثثهم ودمائهم من أجل مستقبل بلدهم لأنهم كانوا يدركون أنه حتمًا سوف تتحرر بلدهم وتنقشع الغيوم مهما طالت السنون ، وأن الشمس سوف تشرق بعد أن حاول بضعة أفراد لا ضمير لهم ، شوهدوا بجرائم لا تغتفر سمعة كوبا ، سوف تشرق هذه الشمس على كوبا تهديهم إلى طريق النور والعدل والحرية .

وما كان الطاغية باتستا فى أى يوم رجلاً يسمح للأوهام أن تعوقه فهو لم يتردد فى أية لحظة عن اجترار الأكاذيب الملفقة للشعب ، فلقد ادعى أنه قام بانقلاباته لإنقاذ كوبا من حمامات دم محتملة

الوقوع ، ولكنه فى الواقع هو الذى أغرق كوبا بأساليب التعذيب والإرهاب والجريمة ، وخنق الحرية لشباب رفضوا الخضوع لأوامره والانصياع لإرهابه .

ومما هو جدير بالذكر أن اغتيال الأسرى قد اقترن فى تاريخ كوبا باسم « باتستا » بصورة مشؤومة ، ولم تسطر فى تاريخ كوبا قط صفحة سوداء واحدة بمثل الصفحة التى سطرت فى كوبا خلال حكم « باتستا » ، حيث رافق عدد الضحايا ووحشية الجلادين قسوة دموية رهيبة مصحوبة بحقد وحزن وبؤس عميق .

وخرج باتستا من خلال فترة حكمه الأولى بثروة قدرت بأربعين مليون دولار ، ومن خلال رئاسته الثانية وصلت ثروته إلى أكثر من ٣٠٠ مليون دولار ، بينما كان شعبه يتضور جوعًا لقد قسم دانتى جحيمه إلى تسع حلقات ، فوضع المجرمين فى الحلقة السابعة ، واللصوص فى الحلقة الثامنة ، والخونة فى الحلقة التاسعة ، ولكن الأبالسة سوف يختارون حينما يطلب منهم أن يختاروا الحلقة الملائمة لروح باتستا ، هذا إذا كانت له روح حقًا .

ومما يحكى عن جبروت حكم باتستا وجلاديه أنهم أرادوا اعتراف أحد المواطنين الأحرار عن اختباء الثوار فأتوا لإحدى النساء المسجونات بعين دامية وقالوا لها وهى ترى العين : « إنها تخص أخاك وإذا لم تقولى ما رفض أن يعترف لنا به فسنقلع عينه الأخرى » فما

كان من الفتاة وهى تنتفض إباء رغم حبها لأخيها إذا كنتم قد اقتلعتم له عينا ولم يتكلم فلا تنتظروا منى أن أتكلم أنا » .

ولقد وصفه « ريشارد ديميايى » فى إذاعة الـ ب .ب .سى البريطانية بأنه دكتاتور أجوف وحاكم صغير متعجرف .

لم يتورع باتستا عن ارتكاب كل جريمة ، وكان خطؤه حين انتزع السلطة بالقوة أنه ظن أن القوة وحدها هى التى ستمكنه من الاحتفاظ بها وسالت الكثير من الدماء نتيجة لما أرتكبه من أخطاء .

لقد أصبح لا يمضى يوم دون ضحايا جدد ممن يقضون نحبهم على يد رجال البوليس ، بل إن مدير البوليس بنفسه كان يتولى قتل كل من تثور حوله الشكوك واشتدت وطأة التعذيب فى عهده حتى أن البوليس كان يلقى بجثث الضحايا على الأرصفة ليكونوا عبرة لغيرهم .

ولعل أخطر المذابح فى عهده كانت مذبحة « مولوزا » التى راح ضحيتها ما يقرب من عشرة آلاف مواطن ، ووصل الأمر أن ابنه « ربين باتستا » لم تعجبه سياسة والده ، فشارك فى إحدى المظاهرات ضده دون أن يدرى أصدر باتستا الأمر بفض المظاهرات بالقوة ، وكان أن أطلق البوليس الرصاص على المتظاهرين فقتل ابنه ولما علم بالأمر أصيب بشلل فى التفكير وانقلب إلى ذئب دموى يريد قتل كل شىء وكتم كل صوت للمعارضة ضده وكان كلما يحس أن

زمام الأمور سيفلت من يده يزداد استبدادًا مما كان يزيد فى كراهية الشعب له .

جمع باتستا ثروة من السلب والنهب قدرت بثلاثمائة مليون دولار ، وفى عهده انتشرت الرشوة والمقامرة والفساد والانحلال ، وكانت أسرة باتستا تقتسم المشروعات التجارية والسياحية فى كوبا وتجمع من ذلك أرباحًا طائلة ، وكان روبرت فرناندز أخو زوجة باتستا يشرف على شبكة كبيرة من القمار ، ووصل دخله السنوى أكثر من عشرة ملايين دولار ، واستغلت مدام باتستا اليانصيب لتجنى من ورائه أموالا كثيرة وقد أسند باتستا المناصب الهامة لأسرته فمثلاً أخو زوجته كان مديرا عامًا للبوليس فى هافانا ، ولكى يدعم باتستا حكمة ، لجأ إلى تعيين آلاف من أنصاره فى وظائف وهمية تدر عليهم فى آخر كل شهر مرتبات منتظمة نظير أعمال لم يؤدوها ، والواقع أن باستا كان يجد تشجيعًا لسياسته من الولايات المتحدة ، ولو أن واشنطن أرادت إبعاد باتستا عن الحكم لتم لها ذلك قبل أن تستطيل لحية فيدل كاسترو ولتجنبت أمريكا من المصاعب التى حدثت لها فيما بعد لقد كانت الأسباب الرئيسية للثورة ضد باتستا تتلخص فى الآتى :

١ – النمو السريع للرأسمالية خاصة تحت سيطرة الأجنبى مما أدى إلى تركيز متزايد على الأرض وتطورات احتكارية ورفع أثمان الطعام .

٢ – النمو التدريجى للطبقة المتوسطة داخل كوبا ونمو تطلعاتها الطبقية للسلطة والحكم .

٣ – الدكتاتورية التى تشجع الاستثمار الأجنبى والمشاريع الأجنبية وتمجد الارستقراطية وتقيد الفرص الاقتصادية للطبقة الوسطى وحرمانها الكامل من التعبير السياسى عن نفسها ، وهذه الديكتاتورية لم تضطهد غالبية الشعب فحسب بل أيضا بعض المتعاونين معها .

٤ – الأزمات الاقتصادية المتكررة ونقص المحاصيل .

٥ – القمع الفظيع للحركة الوطنية وانتشار الاضطهاد السياسى .

حكم الحديد والنار :

لقد جعل « باتستا » كوبا فى قبضته الحديدية حيث اعتبرها إقطاعية له ولأسرته ، وجمع حوله الصحفيين الذين حاولوا أن يظهروا سمعته فى الداخل ويحسنوا صورته فى الخارج ، وأحتفظ « باتستا » وعصبته بالجزء الأكبر من دخل كوبا لاستعمالهم الخاص ، وقبل أن يلقى « باتستا » حتفه كون ثروة تبلغ الملايين لقد كان مستبدا جائرًا ويعد من أقسى الطغاة فى العالم لقد سجن المئات ، وعذب وقتل ونفى كثيرًا للخارج خلال حكمه الطويل ، ولم يحدث شيء لبلده خلال حكمه ليخفف عن الناس الفقر والجهل .

وكان التذمر السياسى يزداد يومًا بعد يوم ضد حكم « باتستا » واكتسب الطاغية عداء المثقفين ، ونمت المرارة خلال حكمه فى قلوب العمال ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعية لما قام به من إغلاق المدارس والمصانع ، لقد كانت اللحظة الراهنة على حساب البلد ، وكان اهتمام الطاغية ومن حوله موجها إلى استغلال الأرض والإنسان والجماد والحيوان فوق أرض كوبا ويغفلون تلك الانتهازية بشعارات يرفعونها تتحدث عن شرف الوطن وحرية المواطنين ، وفى ظل حكم باتستا كانت كوبا ضيعة ينهبها الأجانب مقابل عمولة يحصل عليها الطاغية وأعوانه .

نهاية الطاغية :

لابد لكل طاغية من نهاية ، لأن التاريخ هو سلسلة من الصراع بين القوى الشيطانية بما تمثله من استبداد سياسى وظلم اقتصادى وانحراف اجتماعى وبين عاشقى الحرية ومناصرى العدل والباحثين عن الأمن والاستقرار .

إن القوى الشيطانية التى جعلت سلاحها للسيطرة على الشعب الإرهاب والإباحية ، استطاعت عبر باتستا أن تضرب نطاقًا من العزلة حول الجماهير وأن تعيق حركتها وتخدر قواها .

لقد سقط « باتستا » تحت أقدام ذوى اللحى « أنصار ذلك المحامى الذى امتهن القانون ، وضايقه أن تسجن العدالة فى بلده

ونقصد به « فيدل كاسترو » الذى تشبه ببطل كوبا القومى « خوسيه مارتى » .

وفى الواقع شعب كوبا شعب ثورى بطبيعته لا يرضى الضيم ويأبى الظلم ويدافع عن حقوقه ومسلح بوعى سياسى يميزه عن بقية شعوب قارة أمريكا اللاتينية .

ومنذ انقلاب باتستا الذى قام به فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٢ لم تسكت أصوات المعارضة ضده ، وقام ضده كفاح سرى تزعمه طلبة الجامعة وبعض العناصر النقابية وشلت الإضرابات تفكير الديكتاتور ، وكان أقوى المعارضين هم جماعة ٢٦ يوليو التى تزعمها فيدل كاسترو رئيس الحزب الأرثوذكسى فى هافانا ، وقامت هذه الجماعة بمحاولة فاشلة لطرد الديكتاتور باتستا إلى جانب محاولات جديدة لكن الطاغية قتل معظم الذين قاموا بها ، وبقى من هؤلاء الأبطال اثنا عشر رجلاً هربوا إلى جبال « سييرا مايسترا » مصممين على مواصلة الكفاح لإسقاط حكم الطاغية ، ولم يلبث أن انضم لهم فى نهاية عام ١٩٥٨ ما يقرب من عشرة آلاف متطوع .

إلا أنه خلال عام ١٩٥٧ هاجم بعض الفدائيين قصر الرياسة الذى يعيش فيه الطاغية بهدف اغتياله لكنهم فشلوا ، وكانت أعمال المدنيين فى المقاومة السرية متنوعة ، حيث قاموا بحملات الدعاية

ضد الحكومة وجمعوا ملايين الدولارات من الشعب بجميع صفوفه لشراء الأسلحة والمؤن لجيش الثوار .

وكلما زاد الثوار عملياتهم الفدائية كلما زاد عنف واضطهاد حكومة « باتستا » للمعارضة ، واعتادت منازل كوبا تلك الزيارات الليلية التى كان يقوم بها أعوان الطاغية لاعتقال أى شخص حيث يؤخذ المعتقلون إلى مراكز البوليس وثكنات الجيش وكان مصير المعتقلين ينتهى بمجرد اعتقالهم ، وتعرض عشرات الألوف من الوطنيين فى كوبا لتعذيب آثم ، وتقول الإحصاءات إن ما يقرب من عشرين ألفا من المدنيين ، قتلهم الطاغية باتستا ، ونظام حكمه ، وكانت الجثث تشوه بحيث لا يمكن التعرف عليها ولكن كان لابد للثورة أن تنتشر ، وهكذا نجحت ثورة كاسترو سنة ١٩٥٩ .

وبقى أن نقول للشعوب التى تعانى من حكم الطغاة ، إن الحرية لا تستجدى استجداء إنما تؤخذ بحد السيف وبقوة الوعى والإنسان الذى يطيع قوانين ظالمة ويسمح لأناس يسومون الوطن الذى ولد فيه سوء العذاب ليس هو بإنسان شريف ، فكما لابد للدنيا من النور ، وكذلك لابد أن يكون فيها شىء من الشرف ، وعلينا أن ندرك أنه عندما يكون هنالك الكثير من الناس بلا شرف ، فهناك إلى جانبهم كثيرون غيرهم يحملون فى أنفسهم أسمى معانى

الشرف ، وهؤلاء هم الثوار انصار الحرية والعدل والمدافعون عن حقوق الجماهير والمرآة الصادقة لنبل الشعب .. وأخيرًا هم الذين يمثلون الكرامة الإنسانية بحق .

لقد هرب باتستا لاجئًا إلى جمهورية الدومينيكان فى الأول من يناير ١٩٥٩ وكغيره من الطغاة أدرك بعد فوات الأوان عظم الجرم الذى ارتكبه فى حق ضحاياه مدركًا ما سيكتبه عنه التاريخ وكيف ستلعنه الشعوب ، وتظل تلاحق خطاياه حتى تنتهى حياته ليلقى عذاب الآخرة على ما قدمت يداه .